أمامنا، في كتب التاريخ والاجتماع؟. إن مهمة الكاتب وواجبه هو تصوير أعماق الحياة التي لا يراها سوى النافذ البصيرة، الدقيق الملاحظة.

ومن هنا فإننا نؤاخذ أفلاطون الذي رأى في الفن محاكة للطبيعة بطريقة سطحية فجة. ورأيُ أفلاطون في الفن مرتبط بمفهومه للعالم الذي يقسمه إلى ثلاث دوائر رئيسية هي: عالم المثل، وعالم الطبيعة، أو العالم المحسوس، ثم الصور والظلال. ولما كان أفلاطون يعتقد بأن الحقيقة الخالصة تكمن في عالم المثل، وأنه لا يمكن لأحد أن يصل إليها مهما بلغ من قوة الإبداع، فإنه سدد هجومه على الفن عامة وعلى الشعر خاصة، بدعوى أن الفنان أو الشاعر بعيد عن الحقيقة ثلاث خطوات، لأنه يحاكي الطبيعة بفنه أو بشعره، والطبيعة تعد بدورها ـ كما ذكرنا ـ محاكاة للحقيقة الموجودة في عالم المثل. وبهذا يكون عمل الشاعر محاكاة للمحاكاة، أو تقليداً للتقليد[٧٩].

وقد عارض أرسطو هذه الفكرة التي تنزل بمستوى الفن والأدب إلى هذا الدرك، ورأى أن المحاكاة في الشعر لا تتم برسم الأشياء والأشخاص كما هم في الواقع مثلما ذهب أفلاطون، «فمهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلاً، بل في رواية ما يمكن أن يقع، والأشياء ممكنة: إما بحسب الاحتمال، أو بحسب الضرورة، ذلك أن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعراً والآخر يرويها نثراً (فقد كان من الممكن تأليف تاريخ هيرودوتس نظماً، ولكنه كان يسظل مع ذلك تاريخاً سواء كتب نظماً أم نثراً)، وإنما يتميزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلاً، بينما الآخر يروي الأحداث التي يمكن أن تقع»[٨٠].

ونرى أن أقطاب الواقعية النقدية يحرصون على تحقيق فكرة أرسطو هذه تحقيقاً ممتازاً، فيعمدون إلى استيعاب الملامح الجوهرية للإنسان والعصر والمجتمع بطريقة تبدو لأول وهلة بعيدة عن الواقع بعداً كبيراً، ولكنها في حقيقتها العميقة أصدق تعبيراً من المواقف والشخصيات المبتذلة. ومن هنا فإننا نعد «دون كيخوتة» على سبيل المثال، من أقوى النماذج المقنعة في الآداب العالمية